IUGJEPS
Vol 28, No 1, 2020, pp 410 -427

ISSN 2410-3152

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية

تاريخ الإرسال (2018-10-26)، تاريخ قبول النشر (2019-01-05)

الدلالات التربوية المستنبطة من مفردة الجبال في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية

اسم الباحث الأول: أ. ابتسام معيش المطرفي *.1

[1] اسم الجامعة والبلد: قسم التربية الإسلامية والمقارنة-كلية التربية-جامعة أم القرى-مكة المكرمة

البريد الالكتروني للبريد المرسل:

E-mail address: E-maeesh2010@hotmail.com

الملخص:

يهدفُ هذا البحثِ إلى تتبّع مفردةِ الجبالِ (بالإفرادِ والجمع) في القرآنِ الكريم، وإبراز أوجهِ الإعجاز العلمي في الحكمةِ من خلقها ومتاعها وألوانها وعبوديتها لله تعالى من خلال المنهج الأصولي؛ من أجل استقراءِ الآياتِ القرآنيةِ المتعلقةِ بموضوع البحثِ ثم تحليل أقوالِ المفسرين في مدلولاتها واستنباطِ الدلالاتِ التربويةِ من عبوديةِ الجبال وأوجهِ تطبيقها في المسجدِ والأسرةِ والمدرسةِ ووسائل الإعلام، ولقد توصلتْ الباحثةُ إلى أنَّ لكلِّ مخلوقٍ في الوجودِ قدرًا من الوعي والإدراكِ الذي يعينُه على معرفةِ ذاتهِ وخالقهِ فيتوافقُ مع كلِّ منضبطٍ بسننِ الفطرةِ ويتنافرُ مع كلِّ مناقضٍ لها وهذا الوعي والإدراك يجعلانِ كلَّ ما في الوجودِ يعبدُ اللهَ تعالى بكيفيةٍ خاصةٍ، وأنَّ سببَ تصدّع الجبالِ الراسيةِ هو خشيةُ اللهِ تعالى، وأنَّ سجودَ الجبالِ الشاهقةِ بفيء ظلالها وميلانها من موضع لآخر، وأنَّ الجبالَ تسبّحُ مع تسبيح نبي اللهِ داودَ عليه السلام في العشي والإشراق.

كلمات مفتاحية: الجبال في القرآن- تسبيح الجبال- خشوع الجبال- سجود الجبال

Educational signs derived from the word mountains in the Holy Quran and its educational applications

Abstract:

The purpose of this research is to trace the singularity of the mountains in the Holy Quran and to highlight the scientific miracles in the wisdom of their creation, content, colors, and worship of God Through the fundamentalist approach to extrapolating the Qur'anic verses related to the subject. From the bondage of the mountains and their application in the mosque, the family, the school and the media .The researcher has concluded that every creature in existence has a certain amount of awareness and awareness that helps him to know himself and his Creator. He agrees with every disciplined person of nature. This awareness make everything in existence worship God in a special way. And that the reason for the rift of the mountains is the fear of God Almighty. And that the prostration of mountains is the transition of its shadow from place to place. Praise be to the mountains with praise of prophet "daood" peace be upon him At sunrise and sunset.

Keywords: Mountains in the Quran- Praise the mountains- The humble mountains- Mountain prostration

المقدمة

خَلَقَ اللهُ الإنسانَ وخَلَقَ له عقلاً؛ يُدركُ بهِ الأمورَ، ويميزُ بهِ بين النافعِ والضار، والصالحِ والفاسد، والخيرِ والشر، وجعلَ مناطَ التكليفِ على وجودِ هذا العقل، وأمرَ الإنسانَ بأن يستخدِمَه في التأملِ والتفكرِ في المخلوقاتِ من حولِهِ؛ ليدركَ دقةَ الخلق وعظمةَ الخالق، قال تعالى: (قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ) [سورة يونس: 101].

قالَ الإمامُ السعدي رحمه الله: "المرادُ بالنظرِ هُنَا: نظرُ الفكرِ والاعتبارُ والتأملُ لما في السماءِ والأرضِ والاستبصارُ؛ فإنَّ في ذلك عِبرةً تدلُّ على أنَّ اللهَ وحدَهُ المعبودُ ذو الجلالِ والإكرامِ، والأسماءِ والصفاتِ، أما القومُ الذين لا يؤمنونَ فهُمْ لا ينتفِعونَ بالآياتِ لإعراضِهِمْ وعنادِهِمْ " (السعدي محمد، 2003م، ص 351).

ومعرفةُ اللهِ نوعان: معرفةُ إقرارٍ بوجودِهِ وهذهِ يشتركُ فيها الفاجرُ والبارُّ والمطيعُ والعاصي، والمعرفةُ الخالصةِ التي توجِبُ الحياءَ مِنْهُ ومحبَتَهُ والخشيةَ مِنْهُ والإقبالَ إليهِ" (ابن القيم، 1973م، ص 170).

ويتفاوتُ الناسُ في معرفةِ اللهِ تعالى، ومع كلِّ فتحٍ بشري في آفاق العلومِ والمعارفِ تتجدد الصلةُ بمعاني الوحي الإلهي، وأيًّا كان حظ الإنسان من العلم والحضارة فإنَّ التفكر في عظَمَة الخلق مدعاة لتعظيم الخالق ، فيستنيرُ العقلُ بالهدايةِ ويلهج اللسانُ بالتسبيحِ والتنزيهِ قال تعالى: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَ لَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ) [سورة فصلت: 53] .

ومع ما أودع الله في المظاهرِ الكونيةِ من بهاءِ المنظرِ وروعة التكوينِ فهي تعرف خالقها وتنقاد له وتكتنز مشاعر أُلفةٍ وإجلالٍ فلا عجبَ أنْ يحبَ النبيَّ ﷺ شجرٌ ويُسلِّمُ عليه، وجذعُ نخلةٍ يشتاقُ إليهِ ويبكي لفراقِه، وجبلٌ يأنَفُ من الكفرِ وأهلِهِ ويفرحُ بمرورِ العبدِ الصالحِ، وبقدْرِ مايتفكرُ العبدُ في مخلوقاتِ الله بقدرِ مايفتحُ على قلبهِ بمعرفتهِ.

والمتأمل في تكاملُ الأدلة الشرعية والكونية يُدرك أنَّ عظمة الجبال قد تجاوزت تضاريسها الجغرافية وحقائقها العلمية لِتَكُونَ بيئة خصبة لبناء الشخصية المسلمة بوصفِها تشارك الإنسانِ في معرفةِ حقوق الخالقِ جلَّ في علاه ، وتتضمن العديد من المضامين التربوية لاسيَّما في الجانب الروحي الذي يهدف إلى ترسيخ العقيدة الصحيحة ؛ مما يجعل المسلم وثيق الصلة بخالقه .

وتساهم المدرسة في تعزيز جملةٍ من تلك المضامين في نفوس الطلَبة من خلال المناهج الدراسية بَيْد أنَّ التربية عملية مستمرة ومشترَكة، كما تتجدد الحاجة إليها بحسب المعطيات، ففي دراسةٍ أجراها الباحثُ (محمد المدهون،2014م) بعنوان: "القيم التربوية المتضمنة في الآيات الكونية ودور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيزها لدى طلبتهم" تَبيَّنَ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة في متغير الجنس لصالح الذكور ، وفي متغير التخصص لصالح طلبة التخصص الشرعي ؛ الأمر الذي يعكس حاجة الإناث وحاجة طلبة التخصص العلمي إلى تعزيز تلك المضامين بشكلٍ فعّال، ويأتي هذا البحث استجابة لتوصية الباحث بضرورة توظيف الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم بما يحقق التوجيه التربوي السليم .

وتزدهر التربية الإسلامية في مجتمع يتبنى الإسلام عقيدةً ومنهاجًا وسلوكًا ؛ ولأنَّ تظافر مؤسساتها يُساهم في تحقيق أهدافها فقد قامت الباحثة باستنباط الدلالات التربوية من مفردة الجبال من كتاب الله تعالى كما قدَّمت جملةً من التطبيقات المقترح تفعيلها في البيئة التربوية المحيطة بالطلَبة وهي: المسجد والمدرسة والأُسرة ووسائل الإعلام .

تساؤلات البحث

1. هل الجبالُ من الخلق العابدِ لله تعالى؟
2. ما الدلالاتُ التربويةُ المستنبطةُ من عبوديةِ الجبالِ لله تعالى؟
3. ما التطبيقاتُ التربويةُ التي يمكنُ للمؤسساتِ التربويةِ تفعيلُها للتوعيةِ بعبوديةِ الجبالِ لله تعالى؟

أهداف البحث

1. عرضُ النصوصِ الدالةِ على عبوديةِ الجبالِ لله تعالى.
2. استنباطُ الدلالاتِ التربويةِ من عبوديةِ الجبالِ لله تعالى.
3. عرضُ بعض التطبيقاتِ التربويةِ التي يمكنُ للمؤسساتِ التربويةِ تفعيلُها للتوعيةِ بعبوديةِ الجبالِ لله تعالى.

أهمية البحث

1. **علميًّا:** استمدَ هذا البحثِ أهميتَه من القرآن الكريم الذي كان له السبقُ في تصويرِ عظمةِ الجبالِ وعظمةِ خالقِها جلَّ في علاه.
2. **عمليًّا:** يمكنُ للأسرةِ والمدرسةِ والمسجدِ ووسائلِ الإعلامِ الاستفادةُ من التطبيقاتِ التربويةِ المقترحةِ في هذا البحث.

حدود البحث

وردتْ كلمةُ (جبل) بصيغَةِ الإفرادِ والجمعِ في القرآنِ الكريمِ 39 مرةً، منها (6 مراتٍ بصيغةِ المفردِ و33 مرةً بصيغةِ الجمعِ) ويمكنُ تصنيفِها إلى 9 فئاتٍ- ستأتي لاحقًا- وقد جاءت الإشارةُ إلى الجبالِ بالتعبيرِ (رواسي) في 10 آياتٍ" (النجار، 2006م، ص26)، واقتصرَ هذا البحثِ على فئةِ عبوديةِ الجبالِ لله تعالى، والتي أوجزَها المصنِّفُ (الدكتور زغلول) في 4 آياتٍ قرآنيةٍ، وقد أضافتْ إليها الباحثةُ موضعَينِ يتعلقانِ بخشوعِ الجبالِ لتصبحَ حدودَ الدراسةِ بالإجمالِ هي: (6 آياتٍ قرآنية).

ويتناولُ هذا البحثِ الدلالاتِ التربويةَ المستنبطةَ من فئةِ عبوديةِ الجبالِ لله تعالى (خشوعها وتسبيحها وسجودها) بعد الرجوعِ إلى بعضِ كتبِ التفسيرِ مثل: تفسير ابن كثير والتفسير الوسيط وتفسير المراغي وغيرها.

المنهج المستخدم في البحث

اعتمَدَ هذا البحثِ على المنهجِ الأصولي القائمِ على تتبُّعِ الآياتِ القرآنيةِ المتعلقةِ بموضوعِ البحثِ عن طريقِ الرجوعِ للمعجمِ الموضوعي لآياتِ القرآنِ الكريمِ وتصنيفِها وترتيبِها ثم الاطلاعِ على كتبِ التفسيرِ ليسهلُ بذلك تحليلُ أقوالِ المفسرين في الآيات واستخراجُ الدلالاتِ التربويةِ وتوضيحِ مجالات تطبيقِها على مستوى المؤسساتِ التربويةِ المختلفة.

مصطلحات البحث

1- مصطلحُ الدَّلالات: عرَّفها الجُرجاني بأنها: "الدلالةُ هي كونُ الشيءِ بحالةٍ يلزمُ من العِلمِ به العلمَ بشيءٍ آخرَ والشيءُ الأولُ هو الدالُّ والثانيَ هو المدلولُ" (الشريف الجرجاني، 1996م، ص 61-62).

وأعني بالدلالاتِ في هذا البحثِ: الفوائدَ المستخلصةَ من أقوالِ المفسرينَ في الآياتِ المتضمنةِ لعبوديةِ الجبالِ في القرآنِ الكريم.

2- مصطلحُ التربيةِ: عرّف الهنيدي التربيةَ بأنها "تنميةُ الكائنِ البشري للوصولِ به إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ جسميًا وعقليًا وروحيًا واجتماعيًا بحيثُ يستطيعُ أن يساهمَ في حركةِ بناءِ وتقدمِ المجتمع" (عبد الرحمن الهنيدي، 2004م، ص 16).

وأرى أن التربيةَ: تنظيمُ فِكْرِ وسلوكِ الأفرادِ بما يتفقُ مع مبادئ الإسلامِ في مجالاتِ الحياةِ المختلفة.

3- مصطلحُ الاستنباطِ: قالَ السرخسيُ في أصولِه: "والاستنباطُ ليس إلا استخراجُ المعنى من المنصوص بالرأي" (ابن العربي، 2003م، ص 89).

وأعني بالاستنباطِ في هذهِ الدراسةِ: تحليلَ أقوالِ المفسرينَ لاستخراجِ الفوائدِ منها.

4- مفردةُ الجبالِ: يعرّفُ الجبلُ في معجمِ المصطلحاتِ الجيولوجيةِ "بأنه تلٌّ مرتفعٌ أو قطعةٌ من الأرضِ ترتفعُ بشكلٍ كبيرٍ عن الأراضي المجاورةِ لها" (النجار، مرجع سابق، ص 26).

وأعني بمفردةِ الجبالِ في هذهِ الدراسةِ: مواضعَ ذكرِ الجبالِ - بمفهومِها الجيولوجي السابق- في القرآنِ الكريمِ بالإفرادِ وبالجمع.

5- مصطلحُ التطبيقاتِ التربويةِ: وأعني بها مجموعةَ البرامجِ أو الأنشطةِ أو الأفكارِ التربويةِ التي يمكنُ لأولياءَ الأمورِ أو أئمةِ المساجدَ أو المعلمينَ أو الإعلاميينَ إعدادُها وتنفيذُها على مستوى الأسرةِ والمسجدِ والمدرسةِ ووسائلَ الإعلام.

الدراسات السابقة

على حدِ علمِ الباحثةِ فإنه لا توجدُ أبحاثٌ سابقةٌ حولَ موضوعِ عبوديةِ الجبالِ للهِ تعالى إلا أنَّ هناكَ رسالتين علميتين تلتقي مع البحث الحالي في بعض الجوانب، إحداهما للباحثِ (فريد التوني، 1991م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة) بعنوان "عبودية الكائناتِ لربِ العالمين" تهدفُ إلى التعرفِ على عبوديةِ الأنبياءِ والحيوانَ والنباتِ والجمادِ والجنِّ والملائكةِ للهِ تعالى، وبيانِ أسبابِ ضياعِ العبوديةِ الحقةِ للهِ تعالى في الزمنِ الراهنِ، وبيانِ الآثارِ الناتجةِ عن عدمِ عبوديةِ اللهِ تعالى، واستخدمَ فيها المنهجَ الأصولي، وأسفرتْ عنْ أنَّ اللهَ ﷻ قد منحَ الجماداتِ إدراكًا ليسَ كإدراكِ البشرِ وعبادةً ليستْ كعبادةِ البشرِ، وأنَّ كلَّ الكائناتِ قد أسلمَت للهِ وآمنتْ بنبوةِ محمدٍ ﷺ في حينَ قد عميتْ بصائرُ بعضِ الإنسِ عن الحق فكذبوا رسالتَه، كما أظهرَتْ أنَّ من أسبابِ ضياعِ عبوديةِ اللهِ الغفلةَ والانشغالَ بملذاتِ الدنيا، وأنَّ ما لحقَ الأمةَ الإسلاميةَ من الذلِ والضعفِ والهوانِ كان من آثارِ ذلك.

أما الدراسة الأخرى فهي للباحث (عبدالمجيد الوعلان،2011م، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض) بعنوان " الآيات الكونية، دراسة عقدية " تهدف إلى التفسير العلمي للآيات الكونية(السماوية والأرضية) ودلالتها العقدية ، تناول فيها تنزيه الجبال لله تعالى عند التجلي وعلاقته بتوحيد الأسماء والصفات ، وأشار إلى امتثال مَلَك الجبال للأمر الإلهي وعلاقته بالإيمان بالملائكة، ودلائل كرامات الأنبياء بتسخير الجبال لنبي الله داوود وعلاقته بالايمان بالرسل، واستخدم فيها المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي بجمع كل مايتعلق بالآيات الكونية وأدلتها من الكتاب والسنة ودلائلها العقدية والمنهج الصحيح تجاهها، وأسفرت الدراسة أن الآيات الكونية السماوية والأرضية لها دلالتها العقدية في جميع أبواب العقيدة، وأن هناك فرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، وأنَّه لا تعارض بين الحقائق القرآنية والاكتشافات العلمية .

واتفق البحثُ الحالي معَ دراسة (التوني،1991م) في أنَّ للكائناتِ إدراكًا وعبادةً ليست كعبادةِ البشرِ، وأنها قد تكونُ أشدَّ خشيةً وتسبيحًا وتعظيمًا لخالقِها من الإنسان الذي غرَّته دنياهُ بملذاتِها ، واتفقت مع دراسة (الوعلان،2011م) في منهج الدراسة القائم على تتبع النصوص الشرعية ؛ من أجل استنباط الدلالات، وأنَّ الإيمان بالحقائق القرآنية من دلائل العقيدة الصحيحة التي لا تخضع لاكتشافات العلم في قبول الوحي.

واختلف البحث الحالي عن دراسة (التوني،1991م) اختلاف تنوع من حيث التفصيل والإجمال، فقد اقتضت دراسة الباحث الإيجاز في الحديث عن الجبالِ في جملة الجماداتِ من الكائنات في حين جاء هذا البحثِ لتسليطِ الضوءِ على عبوديةِ الجبالِ من خشوعٍ وتسبيحٍ وسجودٍ للهِ تعالى، وقد تناولت دراسة (الوعلان،2011م) الآيات الكونية ودلالتها العقدية بينما تناول البحث الحالي مفردة الجبال ودلالتها التربوية وتطبيقاتها في المؤسسات التربوية ، وفي حين تتبَّعَ الباحثُ نصوص الكتاب والسنة الواردة في الآيات الكونية فقد اقتصر البحث الحالي لتتبع مفردة الجبال في القرآن الكريم فقط.

المبحث الأول: المفهوم العلمي للجبال

الجَبَلُ في العربيةِ: "ما علا من سطحِ الأَرضِ واستطالَ وجاوَزَ التَّلَّ ارتفاعًا، والجمع: أَجْبُلٌ وجِبَالٌ وأَجْبَالٌ ويقال: فلان جبلٌ: ثابتٌ لا يتزحزحُ، ويقال للحيةِ: ابنة الجبل؛ لأن الجبلَ مأواها، كما يقالُ للداهيةِ كذلك؛ لأنها تثقلُ الكاهلَ كأنها جبلٌ، ويقال جبلهُ اللهُ: أي فطرهُ" (الزيات، 2004م، ص 4).

والجبالُ الشامخةُ إحدى مظاهرَ الطبيعةِ الأكثر جمالًا وروعةً ولا يزالُ العلماءُ يعجبونَ من سرِّ تكوينِها والهدفِ من وجودِها وماذا لو لم تكن الجبالُ موجودةً! وقد اهتدى العقلُ البشريُّ في منتصفِ القرنِ 19م إلى حقيقةٍ مفادها: أنَّ دوران الأرض حول نفسِها ينشأُ عنهُ قوةٌ نابذةٌ تقذفُ ما على سطحِ الأرضِ إلى الخارجِ بينما تعملُ القوةُ الجاذبيّةُ بجذبِ ما على سطحِ الأرضِ نحو مركزِها وبتعادلِ هاتين القوّتين لا تميلُ الأرضُ ولا تضّطربُ ولكي تتعادلَ هاتانِ القوتين يجبُ أن تتوازنَ قشرةُ الأرضِ

بتثبيتِها، وهذا الدورُ الذي تقومُ به الجبالِ، ولم يجدْ العلماءُ المتخصصونَ وصفَ ذلك بأبلغِ من لفظِ "الوتد": وهو كتلةُ الخشبِ التي تثبتُ بها أركانَ الخَيْمةِ، فلم يكنْ ذلك سبقًا علميًّا بل هي حقيقةٌ قرآنيةٌ قال تعالى: (وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا) [سورة النبأ:7] (السعدي داود، 2007م، ص 19).

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في بعض الآيات المتضمنة ذكر الجبال

القرآنُ الكريمُ معجزةُ خالدةُ وبحرٌ زاخرٌ بأنواع العلومِ والمعارفِ لما أودعَ اللهُ فيه من العجائبِ، وجعلَ فيهِ من البراهينَ ما يثبتُ أنه منزّلٌ من لدُنِ حكيمٍ عليمٍ تستخرج لآلئه بالغوص في أعماقِه، فهو الكتاب المعجزُ الذي لا ينطقُ عن الهوى الذي يحملُ بين طياتِه برهانَ كمالِه وآيةُ إعجازِهِ قالَ تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ) [سورة النجم: 3–4].

وبالعلمِ ينالُ العقلُ مطلوبَه، وإذا ما صلُحَت نيةُ طُلابِهِ فإنَّ الفتحَ الإلهيَّ سيقودُهُم إلى معرفةِ الخالق وعبادتِه على الوجهِ الذي يرضيهِ، ولقد أسهمَ إعجازُ القرآنِ الكريمِ في دخولِ بعضٍ من العلماء غير المسلمينَ في الإسلامِ لِما وجدوا في كتابِ اللهِ من عجائبَ لا تنقضي، ومع كلِّ فتحٍ جديدٍ في الإعجازِ العلمي للقرآنَ الكريمِ تهتدي العقولُ، وتتيقنُ الأفهامُ، ويلين الوجدان أمام وحي الله تعالى.

وفيما يلي بعضٌ من أوجه الإعجاز العلمي في الآياتِ القرآنيةِ المتضمنةِ لمفردةِ الجبالِ:

أ- **أهمية الجبال لنزول الأمطار**

نرى قممَ الجبالِ مغطاةً بالغيومِ معظمَ أيامِ السنةِ، فما سببُ ذلك؟!

إنَّ تصميم الجبالِ يجعلُها تعملُ كمصدَّاتٍ للهواءِ ينزلقُ على سطحها ويساهِمُ الشكلُ الانسيابيُّ للجبالِ في تسريعِ تياراتِ الهواءِ المحملةِ ببخار الماء، وفي تبريدِها وتشكُّلِ الغيومِ، فكلما كان الجبلُ أكثرَ شموخًا وارتفاعًا أدى ذلك لتجمع كميةٍ أكبر من الغيومِ ثم نزولِ المطرِ أو الثلجِ ثم ذوبان هذا الثلجِ وتسرُّبِه عبر طبقاتِ الجبلِ ومسامّهِ حتى تتفجرَ الينابيعَ شديدةَ العذوبة (عبد الدائم الكحيل، 2010م)، وبهذا يتجلى دورُ الجبالِ في تشكُّلِ الغيومِ ونزولِ الأمطارِ مصداقًا لقوله تعالى: (أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ٢٦ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧) [سورة المرسلات: 25–27].

(شكل 1: كيفيةُ تَشَكُّلِ الغيومِ واصطدامِها بقممِ الجبالِ لنزولِ الأمطار)

(شكل 2: أعذبُ المياهِ تكونت على سفوحِ الجبالِ الشامخة)

ب- متـــــــاع الجبـــــــال

عَرَفَ الإنسانُ منذ القِدَمِ أن الجبالَ الراسياتِ تُحققُ له الأمانَ فالتفّ حولها، واتخذَ سفوحَها مسكنًا لهُ، وقد جاء القرآنُ بوصفِها متاعًا للإنسان قال تعالى: (وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٣) [سورة النازعات: 32-33].

ولعل المتأملَ في دقةِ التعبيرِ القرآني يتساءلُ عن الفرق بين الزينةِ والمتاعِ، إذ لم يردْ التعبيرُ عن أحدِهما بدلالةِ الآخر، فالزينةُ في اللغةِ: اسمٌ جامعٌ لكل شيءٍ يُتزين بهِ، أما المتـــــــاعُ: فهو كلُّ شيءٍ ينتفعُ به ويفنى (أحمد مليجي، 2010م).

ومعلومٌ أنَّ الجبالَ تحققُ المتاعَ للإنسانِ والأنعامِ على السواءِ، فإن كلمةَ "متاع" هي التعبيرُ الأنسبُ عن الفائدةِ الحقيقيةِ للجبال، وبها جاء السياق القرآني إذِ المتاعُ أعمُ وأكثرُ منفعةً ويشملُ الجانبين – المادي والمعنوي– ولا يمكن الاستغناءُ عن المتاعِ كونِهِ من الضروريات، في حين يمكنُ الاستغناءِ عن الزينةِ كونها من الكماليات.

ومن تمامِ نعمِ اللهِ على الإنسانِ أن ألقى الجبال على ظهرِ الأرضِ فاستفادَ منها في التنقيبِ عن الثرواتِ المعدنيةِ النفيسةِ التي تخرجُ من باطنِ الأرضِ، واستفادَ من صخورِ الجبالِ تجاريًا وصناعيًا، واستخدم الأحجارَ الجبليةَ في البناءِ وتشييدِ المساكن والقصورَ والطرق والجسورِ وغيرِها وتعلمَ كيفَ ينحتُ بيتِهِ من الصخورِ قال تعالى: (وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ) [سورة الشعراء: 149]، كما استخرجَ منها بعضَ النباتاتِ العُشبيّةِ، واستخدَمَها لعلاجِ بعضِ الأمراضِ، وتناولَ حليبَ الإبلِ الجبليةِ؛ للاستشفاءِ به، فعنْ أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه: ((أنَّ أُناسًا مِن عُرَيْنةَ قدِموا علَى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فاجتَوَوا المدينةَ، فقالَ: لو خرجتُمْ إلى ذَودٍ لَنا، فشَرِبْتُم مِن ألبانِها وأبوالِها ففعلوا فارتدُّوا عنِ الإسلامِ.. إلخ) (الألباني، صحيح الجامع، ص 2107) ومعنى (اجتَوَوا المدينةَ): أي كرِهوا البقاءَ بها لضررٍ لحقَ بهم وهو المرضُ.

(شكل 3: أنواع الصخور المتكونة من الجبال الرواسي)

ج- ألوان الجبال

الألوانُ من دواعي بهجةِ النفسِ وسموِ الروحِ، وتُشعِرُ الناظرَ إليها بالسرورِ فكيف هو الحالُ إذا تعددتْ ألوانُ المنظرِ الواحدِ!! وللجبالِ ألوانٌ عِدَّةٌ: فمنها الأبيضُ، والأحمرُ، والأسودُ، وذاتُ الألوانِ المركبةِ من امتزاجِ لونين، قالَ تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) [سورة فاطر: 27].

وفي هذهِ الآيةِ "يذكرُ تعالى خلقَه للأشياءِ المتضاداتِ، التي أصلُها واحدٌ، ومادتُها واحدةٌ، وفيها من التفاوتِ، والفرقُ ما هو مشاهَدٌ، فمن ذلك: أن اللّهَ تعالى أنزلَ من السماءِ ماءً، فأخرجَ بهِ من الثمراتِ المختلفاتِ، والنباتاتِ المتنوعاتِ، ما هو مشاهدٌ للناظرينَ، والماءُ واحدٌ، والأرضُ واحدةٌ والجبالُ التي جعلها اللّهُ أوتادًا للأرضِ تجدُها جبالًا مُشتبكةً وفيها ألوانٌ متعددةٌ، ثم عطفَ عليها قوله تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [سورة فاطر:28].

و(إنما): أداةٌ تفيدُ الحصرَ، والمعنى: إنْ أردتَ أنْ تخشى اللهَ الخشيةَ الحقيقيةَ فلا بُدَّ من طلبِ العلمِ" (السعدي محمد، مرجع سابق، ص 656).

ومن منظورٍ جيولوجي فإنَّ التغيرَ المستمرَ في ألوانِ الصخورِ ناتجٌ عن تفاعل الجبالِ مع ماءِ المطرِ وتأثيرِ البيئةِ المحيطةِ ودرجاتِ الحرارةِ والظروفِ الجويةِ المحيطةِ بالجبلِ.

ويصنِّف العلماءُ الجبالَ تبعًا لصخورِها الغالبةِ على تركيبِها إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسيةٍ: جبال رسوبية طبقية وهي المتكونةُ بترسيبِ طبقاتٍ فوق بعضِها على مرّ الزمانِ، واللونُ الغالبُ عليها هو الأبيضُ وهي المُشارُ إليها في الآيةِ الكريمةِ بـــ(جُدَدٌ بِيضٌ)، وجبال قاعدية متبلورة متحولة ويظهرُ عنصرُ الحديدِ فيها المتأكسدِ فيظهر الصخرُ بلونٍ أحمرَ، إضافةً إلى معادنَ فلزيةٍ أخرى تختلفُ نسبُ وجودِها، أي أنَّ اللونَ الأحمرَ ذو درجاتٍ وهو المُشار إليه في الآيةِ الكريمةِ (وَحُمرٌ مُّختَلِفٌ أَلوَٰنُهَا)، وجبال بركانية غير متحولة نارية وليس لها سوى اللون الأسود وهي المشارُ إليها في الآيةِ الكريمةِ بـــ(وَغَرَابِيبُ سُود) (النابلسي، 2000م).

(شكل 4: تباين ألوان الجبال)

ووجهُ الإعجازِ في أنّ القرآنَ الكريمَ تحدثَ عن تعددِ ألوانِ الجبالِ مسبوقًا بإنزالِ الماءِ عليها، وتلك إشارةٌ علميةٌ رائعةٌ للتغيرِ المستمرِ في ألوانِ الجبالِ بتأثيرِ الماءِ فسبحانَ القائل: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡ ءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡ حَقُّۗ أَوَ لَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ) [سورة فصلت:53].

المبحث الثالث: عبودية الجبال لله تعالى

العبوديةُ هي الطاعةُ والانقيادُ التامُ، وقسّمَها الإمام ابن القيم رحمه الله إلى نوعين: عبوديةٍ خاصةٍ، وعبوديةٍ عامةٍ، وأدرجَ (الاختيار) ضمنَ العبوديةِ الخاصةِ كون توحيدَ المعبودِ يكون باختيارِ العابدِ طاعةً وحبًا وانقيادًا وهي العبوديةُ عبودية المؤمنينَ قال تعالى: (فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [سورة الزمر:17-18]، في حين أَدرجَ (المعبودات) ضمن عبوديةِ القهرِ والتسخيرِ لنفاذِ أمرِ اللهِ في كلِّ شيءٍ، فلا يقدرُ كائنٌ أن يمتنعَ عن شيءٍ جَبَلَهُ اللهُ عليهِ، وهذهِ العبوديةِ شاملةٌ لجميعِ الكائناتِ؛ لأن اللهَ سبحانَهُ وتعالى يتصرفُ في مخلوقاتِه بما يشاءُ وكيف شاءَ، ولا رادّ لمشيئتِه قال تعالى: (إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡ أَرۡ ضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡ مَٰنِ عَبۡدٗا) [سورة مريم:93].

ولم يخلق اللهُ – جلّ وعلا – هذا الكونِ الفسيحِ عبثًا بل إنّ كلَّ مخلوقٍ متوجهٌ إلى خالقِه، ومالكِه، خاشعًا متضرِّعًا، معلنًا قناعتَه بحكمتِه تعالى في خلقِ المخلوقاتِ والجبالُ أحد تلك الكائناتِ المسخرةِ لعبوديةِ اللهِ (العبودية العامة) أي أنها تشتركُ مع الإنسانِ في معرفةِ حقوقِ المولى جل في علاه.

وقد صنّف الدكتور زغلول النجار مواضعَ ذِكْرِ مفردةِ الجبالِ إلى 9 فئاتٍ، وهي كالتالي:

1- آياتٌ تشيرُ إلى شكلٍ مرتفعٍ ارتفاعًا ملحوظًا من الأرضِ كما في (سورة البقرة: 260، سورة هود: 43).

2- آياتٌ تشيرُ بصورةٍ رمزيةٍ إلى ضخامةِ الكتلةِ الجبليةِ أو تدلُ على ارتفاعِها وطبيعتِها الصلبةِ الهائلةِ كما في (سورة الرعد: 31، سورة إبراهيم: 46، سورة الإسراء: 37، سورة مريم: 90، سورة الأحزاب: 72، سورة الحشر: 21).

3- آياتٌ تذكرُ كلمةَ الجبالِ في مقامِ التشبيهِ، كما في (سورة هود: 42، سورة النور: 43).

4- آياتٌ تشيرُ إلى جبالٍ ذاتِ أهميةٍ تاريخيةٍ كجبالِ ثمودَ كما في (سورة الأعراف: 74، سورة الحجر: 82، سورة الشعراء: 149).

5- آياتٌ تشيرُ إلى الجبالِ التي شهدتْ بعض المعجزات، كما في (سورة البقرة: 260، سورة الأعراف: 143-171).

6- آياتٌ تذكرُ استخدامَ كلٍّ من الإنسانِ والحيوانِ للجبالِ كملجأ ومصدرٍ للمياهِ الجاريةِ كما في (سورة النحل: 68-81-15، سورة الرعد: 3، سورة النمل: 61، سورة المرسلات: 27).

7- آيةٌ واحدةٌ تصفُ الجبالَ بأنها أوتادٌ، إشارةً إلى امتداداتِها الداخليةِ الهائلةِ وأخرى تؤكد على دور الجبالِ في تثبيتِ الأرضِ، أو تصفُ كيفيةَ قيامِ الجبالِ على سطحِها كما في (سورة النبأ: 7، سورة الرعد: 3، سورة الحجر: 19، سورة النحل: 15، سورة الأنبياء: 31، سورة النمل: 61، سورة لقمان: 10، سورة فصلت: 10، سورة ق: 7، سورة المرسلات: 27، سورة النازعات: 32، سورة الغاشية: 19، سورة فاطر: 27، سورة النمل: 88).

8- آياتٌ تشير إلى الجبالِ بوصفِها من الخلق المسبّحِ للهِ العابدِ له تعالى كما في (سورة الأنبياء: 79، سورة الحج: 18، سورة سبأ: 10، سورة ص: 18).

9- آياتٌ تصفُ مصيرَ الجبالِ يوم الحسابِ ودمارَها التامَ كما في (سورة الكهف: 47، سورة طه: 105، سورة الطور: 10، سورة الواقعة: 5، سورة الحاقة: 14، سورة المعارج: 9، سورة المزمل: 14، سورة المرسلات: 10، سورة النبأ: 20، سورة التكوير: 3، سورة القارعة: 5).

واقتصرَ هذا البحثِ على الفئةِ الثامنةِ التي تصفُ الجبالَ بكونها من الخلق العابدِ للهِ تعالى (خشوعها- سجودها- تسبيحها)، حيث جاءَ ذكرُ عبوديةِ الجبالِ لله تعالى في المواضعِ التالية:

1- سورة الأنبياء: 79 2- سورة الحج: 18 3- سورة سبأ: 10 4- سورة ص: 18

ولعل الباحثةَ تضيفُ موضعَين إلى ما سبقَ في خشوعِ الجبالِ هما: (سورة الحشر: 21، سورة الأعراف: 143)؛ ليصبحَ بذلكَ مجموعَ المواضعَ التي اختصت بعبوديةِ الجبالِ للهِ تعالى والتي تناولها هذا البحثِ هي 6 مواضع قرآنية.

وتشاركُ الجبالُ الإنسانَ في العباداتِ التاليةِ:

أولًا: الخشوع لله تعالى

يُعرَّف الخشوعُ في اللغةِ: بالخضوعِ، والخاشعُ: الراكعُ، وجدارٌ خاشعٌ إذا تداعى واستوى مع الأرضِ، ففي الخشوعِ معنى (الخضوع والركوع والطأطأة)، وكلها حركاتٌ تؤدي إلى نوعٍ من الانكماشِ وتقلصِ الحجم" (ابن منظور، 2003م، ج 5).

والخشوعُ في الاصطلاحِ: هيئةٌ في النفسِ يظهرُ منها في الجوارحِ سكونٌ وتواضعٌ، ومحلهُ القلبُ فإذا خشعَ القلبُ خشعتْ الجوارحُ كلُّها، قال الإمامُ ابن رجب رحمه الله: "وأصلُ الخشوعِ لينُ القلبِ ورقّتُهُ وسكونُهُ وخضوعُهُ وانكسارُه وحرقتُه، فإذا خشعَ القلبُ تبعُه خشوعُ جميعِ الجوارحِ والأعضاءِ لأنها تابعةٌ له" (الشناوي، 2006م، ص 39).

والخشوعُ من أجلِّ العباداتِ القلبيةِ، وقد وصفَ اللهُ المؤمنينَ بالخشوعِ في صلاتِهم، وبيَّن أن الخشوعَ طريقُ الفلاحِ في الدنيا والآخرةِ، يحسُّه المؤمنُ بقلبه، ويجد مصداقَه في واقعِ حياتِهِ، وهو سبيلُ الفوزِ بالجنةِ، ولولا عِظمِ منزلةِ الخشوعِ وعُلوّها لَمَا عاتَبَ اللهُ الصحابةَ -أفضل القرون- بقولهِ تعالى: (أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ) [سورة الحديد: 16].

والآيةُ في سياق معاتبةِ الربِ -تباركَ وتعالى- لطائفةٍ من عبادِه المؤمنينَ فترتْ همتَهُم عن القيامِ بما نُدبوا لهُ من الخشوعِ ورقةِ القلوبِ عند سماعِ القرآنِ والمواعظِ فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: "إن اللّهَ استبطأ قلوبَ المهاجرين فعاتبَهم على رأسِ ثلاثِ عشرةَ سنةٍ من نزول القرآن فقال: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)" أي: أما آن للمؤمنين أن ترقَ قلوبُهم عند سماعِ القرآنِ والمواعظِ، فتفهمه وتنقاد له، فإذا كان المؤمنون في تلك الحقبةِ قد أصابَهم الوهَنُ ولم

يمض على إسلامِهم أكثر من ثلاث عشرة سنة فماذا عسانا أن نقولَ عن حالِنا اليومَ قد غرِقنا في لُججِ المُلهيات، فسادَ فينا الوهنُ، وضعُفَت شوكَتُنا، وقَسَت قلوبُنا حتى عِند سماعِ كلامِ ربنا عز شأنه، (المراغي، 1946م، ص 173).

عبودية الجبال لله تعالى

إنَّ علو الجبالِ يجعلُها أبعدَ عن صَخَبِ الحياةِ، وأدعى إلى التأملِ والصفاءِ والخشوعِ والخضوعِ، وخلوِ الإنسانِ بنفسِه، فهي مُقامُ تحنُّثِ خيرِ البشرِ عند نزولِ الوحي عليه، وعليها عُرضت الأمانةُ، وقُطِّعت طيورُ لإبراهيمَ عليه السلام، وعلى جبلِ الجُودي رَست سفينةُ نوح، وسُخِّرت الجبال مسبِّحاتٍ مع داود عليه السلام، فهل يصدُق معتقدُ كونِ الجبالِ من الجمادات التي لا تعقلُ ولا تدركُ ولا تعرفُ خالقَها؟!

أ- خشوع الجبال:

ورد ذكر خشوعِ الجبالِ في موضعين في كتاب الله

الموضعُ الأول: قوله تعالى: ((لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)) [سورة الحشر: 21].

تحدثَ القرآنُ الكريمُ عن الخشوعِ والتصدعِ كأسلوبين وصورتين تمثل خشيةَ الله في الجبالِ، قال الإمامُ ابن كثير رحمه الله: "إذا كان الجبلُ في غلظتِهِ وقساوتِهِ فَهِمَ هذا القرآنَ فتدبرَ ما فيهِ لخشعَ وتصدعَ من خوف اللّهِ عزَّ وجلَّ، فكيف يليقُ بكم يا أيها البشرُ أن لا تلين قلوبُكم، وتخشعَ وتتصدعَ من خشيةِ اللّه، وقال الحسن البصري: الجبالُ الصمّ لو سمعتْ كلامَ اللّهِ وفهمَتْه لخَشَعَتْ وتَصَدَّعَتْ من خَشْيَتِهِ، فكيفَ بِكُم وقد سمِعتُمْ وفَهِمتُم؟" (ابن كثير، 2002م، ص 548)، وفي لسان العرب: "الصَدْعُ: هو الشقُّ في الشيء الصلب، وتصدّعَ القومُ: تفرقوا" (ابن منظور، 2003م، ج 8).

ولقد أثبتت الدراساتُ والتجاربُ المخبريةُ أن هناك علاقةً بين قوى الضغط والتشوهاتِ الصخريةِ الناتجةِ عنها وأن القوى الكامنةُ خلفَ تكوينِ الجبالِ هي قوى انضغاطيةٌ فالخشوعُ (بالالتواء والطي) والتصدّعُ (بالتشقق والفَلْق) أي: الانقسامِ، ويمكنُ القولُ أن بينَ الخشوعِ والتصدعِ ترتيبًا معيَّنًا حيث تستجيبُ الصخورُ لقوى الانضغاطِ بالتقلصِ (الخشوع) أولًا، ثم تتعرضُ للكسرِ (التصدع) بعد ذلك ولهذا تقدمَ لفظُ (الخشوع) على (التصدع) في الآية السابقة)) (الغالبي، 2006م).

وتصدُّعُ الجبالِ الصلبةِ دليلٌ على خشوعِها وخشيتِها وتعظيمِها لخالقِها وتلكَ الأمثالِ يضربُها اللهُ للناسِ للتفكّرِ وفيها موعظةٌ بالغةٌ للإنسانِ وذمٌ لغفلتِهِ وإعراضِهِ عن أمرِ ربهِ جلّ وعلا.

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ((وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣)) [سورة الأعراف: 143].

قال المراغي في تفسير هذه الآية: "لمّا جاءَ موسى عليه السلام للميقاتِ الذي وُقّتَ له للكلامِ وإعطاءِ الشريعةِ وكلمَهُ ربّهُ من وراءِ حجابٍ بغيرِ واسطةِ ملكٍ استشرفت نفسُهُ للجمعِ بين فضيلتَي الكلامِ والرؤيةِ فقال: (رب أرنى) ذاتَك المقدسةِ واجعلْ لي من القوةِ على حملِ تجليكَ ما أقدرُ به على النظرِ إليكَ وكمالِ المعرفةِ بكَ قال الله له: إنك لا تراني الآن ولا فيما يستقبل من الزمان، إذ ليس لبشرٍ أن يطيقَ النظرَ إليَّ في الدنيا ثم أتى بما هو كالعلةِ لذلك؛ ليخفف عن موسى شدةَ وطأةِ الردِ بإعلامِه ما لم يكن يعلمُ من سننِهِ، ثم يقول الله عز وجل: (انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) أي فإنْ ثَبُتَ لدى التجلي وبقيَ مستقرًا في مكانِهِ فسوفَ تراني إذ هو مشاركٌ لكَ في مادةِ هذا العالَمِ الفاني، وإذا كان الجبلُ في قوته وثباتِه لا يستطيعُ الثبوتَ لأن مادته غير مستعدةٍ لقوةِ تجلي خالقِه وخالقِ كلّ شيء فاعلم أنك لن تراني أيضًا وأنتَ مشاركٌ له في كونكَ مخلوقًا من هذه المادةِ وخاضعًا للسننِ الربانيةِ في ضعف استعدادِها وقبولِها للفناء" (المراغي، مرجع سابق، ص 58).

وهكذا كلّم موسى عليه السلام ربّه تبارك وتعالى بلا واسطةٍ وسمعَ منه فتاقَتْ نفسُه أن يمنحهُ الربُ شرفَ رؤيتِه مع علمِهِ أنه ليس كمثلِهِ شيء لا في ذاتِهِ ولا في صفاتِهِ (فلمَّا تجلّى ربُّه للجبل) انهالَ كالرملِ فخرَّ موسى وصَعِق من هولِ الموقفِ، وسجدَ واستغفرَ ربّه لِما صدرَ منه من السؤالِ ثم أفاقَ قائلًا: (سبحانك تبتُ إليك) يستغفرُ من جميعِ الذنوبِ استشعارًا منه بخطئه عندما طلبَ رؤيةَ خالقِه جلّ وعلا، وقوله (وأنا أول المؤمنين) يجدّد إيمانَه بالله بعدما علّمه بما كان يجْهَلْه.

وفي ظلِ التطورِ التكنولوجي المتسارعِ فإنّه باتَ من السهلِ اقتناءُ كتبِ تفسيرِ القرآنِ الكريمِ المعينةِ بعد توفيق الله على فهمِ وتدبرِ القرآنِ الكريمِ وتعميقِ الإيمانِ وتقويمِ السلوكِ، والتنافسُ في تحصيلِ أجرِ تلاوتِهِ وحفظهِ حَسَنٌ –بلا شك– لكنَّه كتابُ هدايةٍ وعملٍ، والغايةُ الأسمى منه هي إعمال العقل للفَهْمِ والتدبّرِ واستخراجِ مكنوناتِ القرآنِ واتخاذِه منهاج حياةٍ، ولئن كانتْ المعجزاتُ الحسّيةُ تُشاهدُ بالأبصارِ، فإن معجزةَ القرآنِ تُشاهدُ بالبصائرِ التي تبذل قُصارى جُهدَها في تدبّرِ الآياتِ وفَهمِ أقوالِ المفسرين لإبرازِ دلالاتِ الآياتِ القرآنيةِ.

الدلالات التربوية المستنبطة من مبحث خشوع الجبال:

1- لمـــــــاّ طلبَ موسى عليه السلام أنْ يَرى ربّنَا تباركَ وتَعالَى تَجلّى ربُّنا للجبلِ وليسَ لموسى وبالرغمِ من ذلكَ سقطَ موسى مغشيًّا فكيفَ لو كانَ التجلّي لموسى عليهِ السلام!! ولئن انهدّ الجبلُ بقوتِهِ وشدتِهِ وعظمتِهِ فالعبدُ أضعفُ وأذلُ.

2- حينما أفاقَ موسى عليهِ السلامُ نزّه الربَّ تباركَ وتعالى وتابَ إليهِ لشعورهِ بأنهُ أذنبَ بطلبِ رؤيةِ الله عزّ وجلّ؛ ولهذا ينبغي على المسلمِ المبادرةُ بالتوبةِ والاستغفارِ فورَ وقوعِ الزللِ.

3- الخشوعُ يبتعدُ بالمؤمنِ عن الرياءِ وحبِ الظهورِ، فيشعرُ القلبُ بالاستغناءِ بالله عن خلقِهِ.

4- الخشوعُ يبعثُ في الفكرِ صفاءَ ونقاءَ وراحةَ بالٍ مما يجعلُ الخاشعين قادرين على التفكيرِ السليمِ للسيرِ بالأسرِ والمجتمعاتِ نحو الأمامِ.

5- الجبالُ الشامخةُ ليستْ مجردَ جماداتٍ وأحجارٍ صماءٍ بل هي مخلوقاتٌ مسخرةٌ مأمورةٌ منقادةٌ مطيعةٌ لخالقها تخشعُ وتتصدعُ من خشيةِ الله فإذا كان هذا هو حالُ الجبالِ فما بال ابن آدم– الذي ميّزهُ اللهُ بالعقلِ – يعرضُ عن عبادةِ ربهِ ويصرفُ أنواعًا من العبادةِ لغيرِ الله: كدعاءِ الأمواتِ أو الذبحِ لغيرِ الله!!!

6- خشوعُ الجبالِ هو تصدّعها وتشققها حين سماعها القرآنَ الكريمَ خضوعًا لله تعالى.

7- الخشوعُ مدعاةٌ لإشراق نورِ التعظيمِ في القلبِ والأمةِ في خطرٍ إن لم تؤدِّ هذه العبادةِ العظيمةِ، فعن أبي الدرداءَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أولُ شيءٍ يُرفع من هذه الأمةِ الخشوعُ، حتى لا تَرى فيها خاشِعـــاً)) (الألباني، مرجع سابق، ص2569).

8- حبُّ الدنيا واتباعُ الهوى والغفلةُ عن ذكر الله من أسباب قسوةِ القلبِ وعدم انتفاعه بالموعظة.

9- عندما خشعتْ قلوبُ المسلمينَ الأوائلَ ووجلتْ قلوبُهم عند معاني القرآنِ وانقادوا لأوامرهِ وانتهوا بنواهيهِ واتعظوا بمواعظِهِ ازدادتْ صلتُهم باللهِ عزّ وجلّ فبوّأهم القيادةَ والريادةَ بين الأممِ ومنحَهُم العزَّ والنصرَّ والتمكينَ، ألا أيتها الأمةُ الغارقةُ في بحرِ الملهياتِ هل من هجرةٍ صادقةٍ إلى ربِّ البرياتِ!!

ب- سجود الجبال

السجودُ في اللغةِ: "التذللُ والخضوعُ وكلُ من تذللَ وخضعَ فقد سجدَ، ويقال: (سجد الرجلُ): أي طأطأَ رأسَه وانحنى، وسجدتْ النخلةُ: إذا مالتْ من كثرةِ حِمْلِها.

وفي الاصطلاحِ: هو وضعُ الجبهةِ على الأرضِ أو ما اتصلَ بها من ثابتٍ مستقرٍ على هيئةٍ مخصوصةٍ في الصلاةِ "(الفيومي أحمد، 2010م، ص 266)، ومعلومٌ بأنَّ في الركوعِ والسجودِ نزولٌ من قيامٍ، لكن النزولَ في السجودِ أكثرَ منه في الركوعِ.

ومن فضائلِ السجودِ ما رواه عبادةُ بن الصامتِ رضي الله عنه أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: "ما من عبدٍ يسجدُ لله سجدةً إلا كتبَ اللهُ له بها حسنةً ومحا عنه بها سيّئةً ورفعَ له بها درجةً فاستكثروا من السجود" (المنذري، 2003م، ص192).

ومن ذلكَ أيضًا ما رواهُ أبو هريرةَ رضي اللهُ عنه أنه قال: قال ﷺ : (أقرب ما يكون العبدُ من ربّهِ وهو ساجدٌ فأكثِروا الدعاءَ) (مسلم، صحيح مسلم، ص 482).

وآياتُ السجودِ كثيرةٌ في القرآنِ الكريمِ، فقبلَ نزولِ آدمَ عليه السلامِ إلى الأرضِ سجدتْ الملائكةُ له، وخرّ أبوا يوسُف عليه السلام ساجدَين له سجودَ تحيةٍ وتكريمٍ وليس تعظيمًا، وأُلقي السحرةُ ساجِدين لربِّ العالمين ربّ موسى وهارون أمام فرعونَ إلى غيرِ ذلكَ، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنِ تيمية رحمه الله: "ولفظُ السجودِ يرادُ به مطلقَ الخضوعِ والاستكانةِ... إلى أن قال: وأمّا أن يكونَ سجودَ الإنسانِ فلا يرادُ به إلا الخضوع ليس فيه سجودَ الوجه" (ابن تيمية، 2005م، ص 298).

والسجودُ لله تعالى من أعظمِ دلائلِ الإجلالِ والتذللِ الذي لا ينبغي إلا لذي الجلالِ والسلطانِ جلّ شأنُه، وهو أصدقُ مظاهرِ الخشوعِ، وفيه إظهارُ الافتقارِ للغني؛ ولهذا فلا يترفّعُ عنه إلا المتكبرُ كما جاء في قصة إبليس قال تعالى: ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ١٢ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ [سورة الأعراف: 12-13]، ويؤدّي الإنسان السجودَ بالانخفاضِ إلى الأرضِ، ووضعِ الجبينِ أو الذقنِ على الترابِ، قال تعالى: ((قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا)) [سورة الإسراء: 107].

وجوهرُ عبادةِ السجودِ وروحُها هو إظهارُ غايةِ التذلّلِ والخضوعِ أمام المعبودِ، وجميعُ الكائناتِ في هذا الوجودِ تُظهرُ التذلّلَ والخضوعَ للّه، وأعلى مظاهرَ الخضوعِ والتذلّلِ للّه أن العالَمَ بأسره تحت أمرِه سبحانه وفي قبضتِه وكلُّ المخلوقاتِ مطيعةٌ له تعالى وخاضعةٌ لمشيئته دون مقاومةٍ، أو تمرّدٍ، ودون طغيان أو تردّد قال تعالى: ((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ١٥)) [سورة الرعد: 15].

ويقول الإمامُ وهبة الزحيلي رحمه الله في تفسيرِ هذهِ الآية: "إنّ من كمالِ قدرةِ الله أن يسجدَ له كلُّ شيء في الكونِ طواعيةً واختيارا أو قهرا وإكراها، وكذلك تسجدُ وتخضعُ لله ظِلالُ الأشياءِ كلّها في الصباح الباكر وفي المساء المتأخر، وذكرَ الراغبُ في مفرداتِهِ أن السجودَ ضربان: سجودٌ إرادي طوعي باختيار وليس ذلك إلاّ للإنسان، وسجودٌ لا إرادي بتسخير الله وهو للإنسانِ والحيوانِ والنباتِ والجماد [1] (الزحيلي وهبة، 2001م، ص 1154).

والقرآنُ الكريمُ يؤكدُ أن كلّ خلق اللهِ له قدرٌ من الإدراكِ الخاصِ به والذي يعينُه على النطق بالكلامِ والشعورِ والإحساسِ وعلى التفاهمِ مع أقرانِه وعلى معرفةِ خالقِه وعلى الخضوعِ له بالطاعةِ والعبادةِ والذكرِ بالفطرةِ تسخيرًا لا إرادة له فيه.

وهذا الإدراكِ الفطري يعينُ كلّ مخلوقٍ على التمييزِ بين العابدينَ الصالحينَ والعاصينَ المقصرينَ من الخلق المكلفينَ فيتعاطفُ مع صالحي المكلفين ويتنافرُ مع عصاتِهم المقصرين؛ فبه علِمَ هدهدُ سليمانَ أن عبادةَ قومِ سبأ للشمسِ كفرٌ بالله وانحطاطٌ عن مقامِ التكريمِ الذي منّ اللهُ به على بني آدم فقال: ((إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ٢٦)) [سورة النمل: 23-26].

وقد يظنُّ السامعُ لهذا الكلامِ يظنُّ بأنّه كلامٌ صالحٌ أو نبيٌّ أو عالمٌ ولكنّه في الحقيقةِ كلامُ هدهد!

قال المراغيّ رحمهُ الله: "قال صاحبُ الكشاف: ألهَمَ اللّهُ الهدهدَ فكافحَ سليمانَ عليه السلامِ بهذا الكلامِ على ما أوتي سليمانُ من فضلِ النبوّةِ والحكمةِ والعلومِ الجمّةِ والإحاطةِ بالمعلوماتِ الكثيرةِ وهذا ابتلاءٌ له في علمه، وتنبيهًا على أن في أدنى خلقِه

(1) الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط، عام 1422ه، دار الفكر، بيروت، ج1، ط 1، ص 1154.

وأضعفه من أحاطَ بما لم يُحطْ به، لتتحاقَرَ إليه نفسُه، ويتصاغرَ إليه علمُه، ويكون لطفًا له في تركِ الإعجابِ الذي هو فتنةُ العلماء، وأعظم بها فتنة" (المراغي، مرجع سابق، ص 101).

وقد وردَ ذكرُ سجودِ الجبالِ في موضعٍ واحدٍ فقط في القرآن الكريم قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨)) [سورة الحج:18].

قال الزحيلي رحمه الله: ((لم يذكر الله في الآية البحارُ والهواءُ والرياحُ مع أنها أعظمُ مما ذُكر من مخلوقاتٍ إلا أنها لم تُعبد من دونِ اللهِ وهذا من دقةِ اللفظِ القرآني، فجميعُ من في السماءِ وهم: الملائكةُ والشمسُ والقمرُ ومن في الأرض وهم: الجنُ والإنسُ والأشجارُ وقد عبدت أخشابها، والدواب ومنها: البقرُ والجبالُ وقد صُنعت من أحجارها الأصنامُ، كلٌ هذه المخلوقات تعبدُ الله (وكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ) حق له الثوابُ بطاعةِ اللهِ وفي المقابل (وكَثِيرٌ منهم حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ)؛ لاستكبارهِ (إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ) بإهانةِ وتعذيبٍ من تعالى وتكبر وإكرامٍ من سجدَ للهِ خضوعًا وامتثالًا)) (الزحيلي، مرجع سابق، ص 2119 بتصرف).

كيف تسجد الجبال؟!

جاء وصفُ آليةِ السجودِ في السنةِ الشريفةِ في الحديثِ الذي رواه أبو ذرٍّ رضي اللّه عنه حين قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أتدري أين تذهبُ هذه الشمس؟) قلت: اللّهُ ورسولهُ أعلم، قال: (فإنها تذهبُ فتسجدُ تحت العرشِ، ثم تستأمَر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت) (الترمذي، صحيح سنن الترمذي، ص 2186)، وقال أبو العالية: ما في السماء نَجمٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ إلا يقعُ للّه ساجدًا حين يغيبُ ثم ينصرفُ حتى يؤذنُ له فيأخذ ذاتَ اليمينِ حتى يرجعَ إلى مطلعه، وأما الجبالُ والشجرُ فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل) ثم ذكر قوله تعالى: ((أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ)) [سورة النحل: 48] (ابن كثير، 2001م، ص 593)، وعرّف البغوي الفيء في قوله تعالى (تتفيؤا ظلاله): "بأنه الرجوعُ، وفاء بمعنى رجعَ من المغرب إلى المشرق، والسجودُ هو الميل" (البغوي، 1989م، ص 272).

وتكون الأشجارُ والجبالُ في أول النهارِ على حالٍ ثم تتقلصُ، ثم تعودُ إلى حالٍ أخرى في آخر النهار، مائلةً من جانبٍ إلى جانبٍ آخر، صاغرةً منقادةً لربها، وخاضعةً لقدرته لا يستكبرون عن التذللِ والخضوعِ له يخافون القويّ القهّارَ ذا العظمة والجلال أن يعذبهم إن عَصَوْه، فيفعلونَ ما أمرَهم به، هذا وتختلفُ أوضاعُ سجودِ الإنسانِ باختلافِ الأحوالِ فسجودُ الصحيحِ غيرُ سجودِ المريضِ الذي على فراشِه، أو الجالسِ على مقعدٍ، ولربما كان سجودُه إشارةً بعينِه، أو بسُبّابته مع أنهم جميعًا بشرٌ إذ لا يكلّفُ اللهُ نفسًا إلا وُسعَها، فإن كان هذا هو الحالُ في الجنسِ الواحدِ فليسَ مُحالٌ أن يكونَ لكلّ جنسٍ سجودُه الخاصُ به والذي يتناسبُ مع طبيعَتِه!!

الدلالات التربوية المستنبطة من سجود الجبال:

1- لكلّ مخلوقٍ مهما صغرَ أو كبُرَ سجودُه الخاصُ الذي يتلاءمُ مع طبيعتِهِ وسجودِ المخلوقاتِ غير العاقلةِ إنما يرادُ به الخضوعُ والانقيادُ لأمرِ اللهِ تعالى.

2- سجودُ الجبالِ بفيء ظلالِها وميلانِها من موضعٍ لآخرٍ صباحًا ومساءً خضوعًا لأمرِ اللهِ مع أنها لا تُثابُ على سجودِها ولا تُعاقبُ بتركِه بينما يتعالى بعضُ البشرِ الذين غرّتْهُم دنياهُم الفانيةُ عن السجودِ لخالقِ الكونِ جلّ شأنُه الذي يجزلُ لهم الثوابَ إن أطاعوه.

3- في السجودِ تذللٌ للّه؛ كون العالمِ بأسْرِه تحتَ أمرِه سبحانَه وفي قبْضَتِه، مطيعًا له تعالى، خاضعًا لمشيئته.

4- من أراد القربَ من اللهِ عزّ وجلّ فليكثِر من السجودِ وليطلْه فيدعو بما شاء من خيريْ الدنيا والآخرةِ لأن السجودَ من مواطنِ إجابةِ الدعاءِ فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أما الركوعُ فعظّموا فيه الربَّ، وأما السجودُ

فاجتهدوا فيه في الدعاءِ، فإنه قَمِنٌ أن يُستجابَ لكم" (ابن العربي، مرجع سابق، 425)، والقَمِنُ: يعني القريبُ (المعجم الوسيط، 2011م، ج 2، ص 760).

5- فضيلة الدعوة إلى الله وأنها ليست حصرًا على بني البشرِ، فسبحان من ألهمَ الهدهدَ إلى إنكارِ صنيعِ ملكةِ سبأ، وفتح عليه بما كان مفاده أن السجودَ لا يكون إلا لله رب العالمين.

6- في الموضعِ المنفردِ لسجودِ الجبال تقريرٌ بربوبيةِ اللهِ وألوهيتِهِ ومن تمامِ العبوديةِ للهِ السجودُ له؛ ولذلك يسن لمن يتلو هذه الآية أو يستمعُ إليها أن يسجدَ بعد تلاوتِها.

ج- تسبيح الجبال

التسبيح في اللغة: "من الفعل سبَح سبْحا إذا أبعد في السير وجرى سريعًا في الماءِ أو الهواءِ، والسابحُ من الخيلِ: السريعُ، والسابحاتُ هي السفن والنجوم، و"سبّح" مبالغةٌ من الفعلِ "سبح"، وسبّح الله إذا قال سبحان الله: أي نزّهَه وقدّسه ومجّده (المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 413).

وهذا التنزيهِ عبادةٌ، فكلُّ مخلوقٍ يسبّح بالدلالةِ على وجودِ خالقِه وتسبيحُ كل شيء بحسبه، وكأنه يقول أؤمن بالله خالقي وأُنَزِّهُهُ عن العجزِ والنقصِ قال تعالى: ((تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا)) [سورة الإسراء: 44]، قال الإمامُ ابن كثير أي: "لا تفقهون تسبيحَهم ما عدا تسبيح من كان يسبحُ بمثل ألسنتكم" (ابن كثير، مرجع سابق، ص 455).

وقسَّم (السعدي داود، 2007م، ص 208) التسبيحَ بوجهٍ عامٍ إلى قسمَين:

1. تسبيحٍ إراديّ وهو (للعاقل) بلسانِ المقالِ وهو خاصٌ للإنسانِ والملائكةِ والمؤمنين من الثَّقَلَيْنِ وهو تسبيحُ العقلاءِ المكلفين فيقومُ به الصالحون منهم ويحرمُ منه الكفارُ والمشركون من العصاةِ وهذا التسبيح يشملُ ذكرَ الله تعالى على كـــل حالٍ بأسمائِهِ الحسنى وصفاتِهِ العليا بإثباتِ ما أثبتَهُ تعالى لذاتِهِ وتنـــزيهِهِ عن كلِّ وصفٍ لا يليقُ بمقامِ الأُلوهيةِ مثل ادعاءِ الشريكِ أو الشبيهِ أو المنازعِ أو الصاحبةِ أو الولدِ.
2. تسبيحٍ تسخيري وهو (لغير العاقلِ) بلسانِ الحالِ وهو لباقي المخلوقات.

ومن فضائلِ التسبيحِ:

- أنه من العباداتِ التي يحبُّها الرحمنُ فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم "كلمتان خفيفتان على اللسانِ ثقيلتان في الميزانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ: سبحانَ اللهُ وبحمدهِ سبحانَ اللهُ العظيم" (البخاري، صحيح البخاري، ص 7563).

- ومنها أنه سببٌ لغفرانِ الذنوب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَن سبّحَ اللهَ في دُبُرِ كلّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين وحمدَ اللهَ ثلاثًا وثلاثين وكبّرَ اللهَ ثلاثًا وثلاثين فتلكَ تسعٌ وتسعون، وقال تمام المائة: لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير، غُفرتْ خطاياه وإن كانت مثلَ زبدِ البحرِ" (مسلم، صحيح مسلم، ص 597).

وقد أشار القرآنُ الكريمِ إلى تسبيحِ الجبالِ مقترناً بتسبيحِ نبي اللهِ داود عليه السلام في ثلاثةِ مواضع:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ((فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ)) [سورة الأنبياء:79]. وصلةُ الآيةِ بما قبلها هي: "بعدما ذكرَ اللهُ ما أنعمَ به على نوح عليه السلام من النعمِ الجليلةِ قفّى على ذلك بذكرِ الإحسانِ العظيمِ الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام وهو قسمان: نِعمٌ مشتركةٌ بينهما وبين غيرهما من النبيين وهي العلمُ والفَهْمُ وإلى ذلك أشار بقوله: (وكلا آتينا حكما وعلما) ونِعمٌ خاصة بواحدٍ دون الآخرِ، فأنعمَ على داود عليه السلام بتسخيرِ

الجبالِ والطيرِ للتسبيحِ معه، وتعليمِ صنعةِ الدروعِ للوقايةِ من أذى الحربِ، وأنعمَ على سليمانَ بتسخيرِ الريحِ العاصفةِ التي تجرى بأمرِهِ، وبتسخيرِ الشياطين تغوصُ في البحارِ لتُخرجَ له اللؤلؤَ والمرجان، وتعمل له أعمالًا أخرى غير ذلك" (المراغي، مرجع سابق، ص 57).

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ((ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ)) [سورة ص: 18].

وصلةُ الآيةِ بما قبلها هي: "بعدَ أن أمرَ اللّهُ رسولَه بالصبرِ على أذى المشركينَ أردفَ ذلكَ ذكرَ قَصَصِ بعضِ الأنبياءِ الذين حدثَ لهم من المشَاق والأذى مثل ما حدثَ له فصبروا حتى فرّج اللّهُ تعالى عنهم وأحسنَ عاقِبَتَهم ترغيبًا له في الصبرِ وإيذانًا ببلوغِهِ ما يريدُ كما كان ذلكَ عاقبةً من قبله فقال (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) أي واذكر لقومِك قصةَ عبدِنا داود ذي القوةِ في الطاعة والفقهِ في الدين" (المراغي، مرجع سابق، ص: 105).

الموضع الثالث:

قولهُ تعالى: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠) [سورة سبأ: 10].

وصلةُ الآيةِ بما قبْلها هي: "بعد أن ذكرَ سبحانَه أن في خلق السماواتِ والأرضِ آيةً لكلِّ من أنابَ إلى اللّهِ ورجعَ إليهِ أردف ذكرَ بعضِ من أنابوا إلى ربّهم فأنعم عليهم بما آتاهُم من الفضلِ المبين، ومن جملتِهم داود عليه السلام، فقد جمعَ اللّهُ له النبوّةَ والمُلكَ والجنودَ ذوى العددِ والعِدد ومنحه الصوتَ الرخيم، فكان إذا سبّح تُسبّحُ معه الجبالُ الراسياتُ، وتقفُ له الطيورُ السارحاتُ، وعلّمه سردَ الدروعِ لتكونَ عدّةً للمقاتلين وردءًا للمجاهدين" (المراغي، مرجع سابق، ج 22، ص 64).

ومعنى قولِه تعالى: {أَوِّبِي} أي سبّحِي (قاله ابن عباس ومجاهد)، فكان داود عليه السلامُ إذا سبّحَ تُسبّحُ معه الجبالُ الراسياتُ، وتقفُ له الطيورُ السارحاتُ، وتجاوبُه بأنواعِ اللغاتِ، وقد قال اللهُ تعالى عن نبيّهِ داود عليه السلام (إنه أواب) صيغةُ مبالغةٍ بمعنى كثيرُ الأوبةِ إلى اللهِ تعالى، والأوبةُ هي الرجوعُ إلى الله بذكره واستغفاره عند الغفلةِ والنسيانِ العارضِ للعبد" (ابن كثير، مرجع سابق، ص 195).

وتذليلُ الجبالِ والطيورِ للتسبيحِ للاقتداءِ بتسبيحِ داود عليه السلام في أوقات العشى والإشراق هو أحدُ مظاهرَ فضلِ اللهِ عليه، وإلا فقد حباهُ الله خيريْ الدنيا والآخرةِ حتى في عبادتِه لربهِ فكان عبدًا شكورًا يصومُ يومًا ويفطرُ يومًا ويتضرّعُ بقيامه بين يديْ اللهِ جلّ وعلا.

الدلالات التربوية المستنبطة من تسبيح الجبال:

1- المسلمُ دائمُ الأوبةِ والتوبةِ والرجوعِ إلى الله وقد أثنى ربنا تبارك وتعالى على داود عليه السلام لأنه أوّابٌ في كلّ حين.

2- التسبيحُ سلاحٌ يعين المسلمَ على الصبرِ على إيذاءِ الآخرين ولنا في رسولنا قدوةٌ حسنةٌ فقد أمره الربّ تبارك وتعالى بالتسبيحِ عندما آذاه المكذبون المعارضون لدعوته قال تعالى: ((وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ)) [سورة الحجر: 98].

3- من فضلِ اللهِ على داود عليه السلام أن زالت الحواجزُ بين كيانِه البشري وكيان الجبالِ والطيورِ لتشاركَهُ التسبيحَ لخالقِ الكونِ جلّ شأنُه.

4- تسبيحُ الجبالِ هو ترديدُها مع تسبيحِ داود عليه السلام بالعشي والإشراق.

5- خصّ الله وقتي العشي والإشراق في التسبيحِ لفضلِ العبادةِ فيهما فيُستحبُّ للمسلمِ صلاةُ الضحى في وقتِ الإشراق لأنها صلاةُ الأوابين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم "لا يحافِظُ على صلاةِ الضُّحى إلَّا أوَّابٌ قالَ وَهيَ صلاةُ الأوَّابينَ" (المنذري، مرجع سابق، ص 321).

6- التسبيحُ والدعاءُ يردّ البلاءَ والقضاءَ إذ لا مغيثَ إلا اللهُ، فقد ابتلعَ الحوتُ نبي الله يونُس عليه السلام قال تعالى: ((فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ)) [سورة الصافات:143-144]، فأنجاه اللهُ تعالى لأنه كان يردّد تسبيحَه المذكورَ في قوله تعالى: ((وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)) [سورة الأنبياء: 87].

7- لنا في داود عليه السلام القدوةُ الحسنةُ في صيامِه وصلاتِه وقيامِه.

8- كلُّ ما في الكونِ يسبّحُ اللهَ بلسانِ الحالِ أو بلسانِ المقالِ ويبرهنُ على وجودِ اللهِ الخالقِ سبحانه ذو الكمالِ المطلق.

9- إن كانت الجبالُ والطيرُ مسخّرةٌ للتسبيحِ مع داود عليه السلام فحريٌّ بالمسلمِ العاقلِ أن يقفَ مع نفسِه ويحاسِبَ نفسَه المقصرةَ -قبل أن يُحاسَب - وينهضَ من غفلتِهِ بالإكثارِ دومًا من تسبيحِ اللهِ لينالَ وافرَ الثوابِ من ربّ العبادِ.

قال الإمام (ابن القيم الجوزية،2007م، ص296) في وصف الجنة:

أوَ ما سمعت بأنها القيعان فاغْــرِس ما تشاء بذا الزمان الفاني

وغِراسُها التسبيح والتكبير والتـــــحميد والتوحيد للرحمن

تبًا لتاركِ غرسِهِ ماذا الذي قد فاته من مدة الإمكان

وبعدُ فلكلّ غايةٍ وسائلٌ، وعبادةُ اللهِ غايةُ كلّ مخلوقٍ، ولعل التأملَ ببصيرةٍ في آياتِ اللهِ الكونيةِ من الوسائلِ التي يصلُ بها الإنسانُ إلى معرفةِ اللهِ الخالقِ وتعظيمِه، ويؤكد القرآنُ الكريمُ أن لكلّ مخلوقٍ من مخلوقاتِ اللهِ قَدْرًا من الإدراكِ الخاصِ بهِ والذي يعينُه على النطقِ بالكلامِ والشعورِ والإحساسِ وعلى التفاهمِ مع أقرانِه وعلى معرفةِ خالقِه وعلى الخضوعِ له بالطاعةِ والعبادةِ والذكرِ بالفطرةِ تسخيرًا لا إرادةَ له فيه، ولو تأمل الإنسانُ المخيّر امتثالَ تلك المخلوقاتِ المسخّرةِ لعبادةِ الله وتقصيره في جنبِ اللهِ لأقبلَ على ربّهِ بقلبٍ يملؤه الأسى واستغفرَه وأنابَ إليه.

نتائج البحث:

1- يدعونا اللهُ عزّ وجلّ إلى التأملِ والتفكرِ في أنفسِنا وفي آياتِ اللهِ من حولنا بأسلوبِ العرضِ من خلالِ الأداةِ (أفلا)، قال تعالى: ((وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ)) [سورة الذاريات: 21].

2- الكونُ بأَسْرِهِ تحت أمرِ اللهِ تعالى وفي قبضتِهِ وكلُّ مخلوقٍ يعبُدُ اللهَ بكيفيةٍ لا يعلَمُها إلا خالقُها جلّ وعلا.

3- خشوعُ الجبالِ الراسيةِ هو تصدّعها وتشققها من خشيةِ اللهِ تعالى.

4- سجودُ الجبالِ الشاهقةِ بفيءِ ظلالِها وميلانِها من موضعٍ لآخرٍ صباحًا ومساءً خضوعًا لأمرِ العليِّ الكبيرِ جلّ في علاه.

5- الجبالُ تسبّحُ مع تسبيحِ نبيّ الله داود عليه السلام في العشي والإشراق.

التطبيقات التربوية المقترحة للمؤسسات التربوية:

التربيةُ عمليةٌ مستمرةٌ، وهي مسؤوليةٌ مشتركةٌ لجميع المؤسساتِ التربويةِ (الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام) وفيما يلي بعضٌ من التوصياتِ المقترحةِ للتوعيةِ بعبوديةِ الجبالِ لله تعالى.

***التطبيقات التربوية على مستوى الأسرة:**

1- يمكنُ للأسرةِ ترسيخُ مفهومِ العقيدةِ الصحيحةِ للأبناءِ نحو عبوديةِ اللهِ عزّ وجلّ من خلالِ النزهاتِ والرحلاتِ العائليةِ من خلال التأملِ المباشرِ في خلقِ الجبالِ وبيانِ الحكمةِ من خلقها أو الصعودِ عليها -إن أمكن- مع فضيلةِ استحضارِ الدعاءِ الواردِ في صعودِ كل مرتفعٍ وهو قول "الله أكبر"، فالجبالُ وإن علت فإنها تعبُدُ خالقِها الأعلى.

2- مشاركةُ أفرادِ الأسرةِ في مشاهدةِ الأفلامِ الوثائقيةِ التي توضّحُ علاقةَ الجبالِ بالإنسانِ منذُ القدمِ والاطلاعِ المستمرِ على إصداراتِ موسوعةِ الإعجازِ العلمي يرسّخُ في نفوسِ الأبناءِ عظمةُ خالقُ الكونِ.

3- يمكن للأسرةِ إعدادُ حلقاتِ تذوق الثمراتِ – معنويًا- بحيثُ يجتمعُ أفرادُ الأسرةِ على مائدةِ الذكرِ ويتذوقونَ ثمراتِ العباداتِ كالخشوعِ والسجودِ والتسبيحِ لله وبيانِ أن المسلمَ يكون ذاكرًا لربهِ في كل حينٍ وعلى أيّ حالٍ. ولعلّ مما يحققُ هذا الغرضِ شرحَ قول الله تعالى: ((إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)) [سورة آل عمران: 190-191].

4- منحَ اللهُ داود عليه السلام فضائلَ دينيةٍ ودنيويةٍ عديدةٍ، ويمكن للأسرةِ استحضارُ قصتِهِ وتوضيحُ تلك الفضائل للأبناءِ وأن الفضلَ بيدِ الله يؤتيهِ من يشاء.

5- ذكر العلماءُ أن الله تعالى خصّ وقتي العشي والإشراق لتسبيحِ الجبالِ مع داود عليه السلام، فتستحبُّ العبادةُ في هذين الوقتين لشرفِ العبادةِ فيهما ، ولهذا يمكن للأسرةِ حثُّ الأبناءِ على صلاةِ الضحى ومشاركتهم في أدائها وبيانِ ما لها من فضلٍ عظيم.

6- يمكن للأسرةِ بمشاركة الأبناءِ تصميمُ لوحاتٍ للتذكير تحملُ أذكار المسلمِ اليوميةِ ووضعها في المكانِ المناسبِ فمثلًا: يوضعُ دعاءُ دخولِ المنزلِ على الوجهةِ الخارجيةِ للبابِ، ودعاءُ دخولِ المنزلِ من الداخلِ، وأذكارُ النومِ بجوارِ السريرِ، وفي السيارةِ دعاءُ ركوبِ الدابةِ، ودعاءُ الانتهاءِ من الطعامِ بجوار المائدةِ وهكذا.

*** التطبيقات التربوية على مستوى المدرسة:**

1- يمكنُ للمدرسةِ التنسيقُ للقيامِ برحلاتٍ لزيارةِ الجبالِ ضمنَ جدولةِ رحلاتِها المدرسيةِ يتم فيها اصطحابُ الطلبة لتأملِّ الجبالِ والصعودِ عليها وسردِ بعضِ القصصِ التاريخيةِ والأحداثِ التاريخيةِ التي ارتبطتْ بالجبال.

2- إقامةُ مسابقةٍ لأفضلِ معرضٍ علميّ سنويّ لمختلفِ المدارسِ تحت عنوانِ "تأمل" بحيث يشاركُ الطلبة والمعلمون في جمعِ وعرضِ صورِ المخلوقاتِ الكونيةِ وسرّ تكوينِها وشرحِ أسبابِ الظواهرِ الكونيةِ ويُدعى المشرفون لحضورِهِ وتقييمِهِ مما يعمّقُ في نفوسِ الطلبة أثرَ الإيمانِ بخالقِ الكون.

3- للمصلى المدرسي دورٌ مهم في النصحِ والإرشادِ بإقامةِ محاضراتٍ عن فضائلِ الذكرِ ووضعِ بعضِ اللوحاتِ التوعويةِ عن فضلِ صلاةِ الضحى وتجهيزِهِ بما يلزمُ ليؤدي فيه الطلبة صلاةَ الضحى. كما يمكنُ لجماعةِ المصلى عمل أركانٍ دعويةٍ تربويةٍ في المدرسةِ يتم تجهيزها بطريقةٍ جذابة.

4- يمكنُ للمعلمينَ تنفيذَ ورشةٍ ثقافيةٍ متكاملةٍ للطلبة عن الجبالِ بحيثُ يبيّنُ معلمُ التاريخِ مثلًا بعضَ الجبالِ التي شهدت المعجزاتِ، ويستعرضُ أمثلةً لجبالٍ لها أهميةٌ تاريخيةٌ كجبال ثمود، ويقومُ معلمُ الجغرافيا بشرحٍ مبسطٍ لكيفيةِ قيام الجبالِ على الأرضِ وتكوينها، ومدى ارتباطِ الإنسان بالجبالِ منذ القدم، كما يقومُ معلمُ الموادِ الدينيةِ بالحديثِ عن عبوديةِ الجبالِ لله تعالى وذكرِ النصوصِ الدالةِ على ذلك، ويقومُ معلمُ اللغةِ العربيةِ بشرحِ مواضعَ ذكرِ الجبالِ في القرآنِ على سبيلِ التشبيهِ، وهكذا كل معلمٍ يُدْلِي بِدَلْوِهِ، ولا بأس أن يتخللَ ذلك بعضُ العروضِ المرئيةِ التوضيحيةِ ثم يختتمُ اللقاءَ بمجموعةِ أسئلةٍ لمعرفةِ مدى استفادةِ الطلبة ويتم توزيعُ الهدايا التشجيعية.

5- للإذاعةِ المدرسيةِ أثرٌ بالغٌ عبر ما يتم طرحُه من موضوعاتٍ تُثري معلوماتِ الطلبة في مختلفِ النواحي ،ويمكنُ تخصيصُ يومٍ معينٍ في الأُسْبوعِ لطرحِ الموضوعاتِ العلميةِ يتمُّ فيه مثلًا عرْض الإعجازِ العلمي في آيةٍ قرآنيةٍ ويومٍ آخر لطرحِ الموضوعاتِ الدينيةِ مثل بيان فضائلِ ذكرِ اللهِ وهكذا، بحيث تتنوعُ موضوعاتُ الإذاعةِ المدرسيةِ على مدارِ الأسبوع.

*** التطبيقات التربوية على مستوى المسجد:**

1- يمكنُ لإمامِ المسجدِ إقامةُ سلسلةِ محاضراتٍ أسبوعيةٍ تحتَ عنوانِ "ثمرات العبادات" أو "وقفات مع آيات الجبال في القرآن الكريم" أو "تأملات في الآيات الكونية" بالتعاون مع لجانِ الدعوةِ والإرشادِ للنساءِ والرجالِ بحيث يتمُّ في كل أسبوعٍ الوقوفُ مع

آيةٍ بشرحها وبيانِ دلالاتِها التربويةِ وأوجهِ الإعجازِ اللفظي أو العلمي إن وُجِد ثم تسجيلِ المحاضراتِ وتوزيعِها لمن لم يتمكنْ من الحضورِ لتعمَّ الفائدة.

2- يمكن توزيعُ بعضِ مطبوعاتِ أذكارِ المسلمِ اليوميةِ بما فيها أذكارُ الصباحِ والمساءِ ودخولِ المسجدِ والخروجِ منه وغيرِها وفضلِ صلاةِ الضحى على أن يذكرَ الأجرُ المترتبُ على كل ذكرٍ والأحاديثُ الصحيحةُ الواردةُ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مما يشجّعُ المصلين على المحافظةِ على الأذكارِ لنيلِ الأجرِ من ربِّ العباد.

*** التطبيقات التربوية على مستوى وسائل الإعلام:**

1- على المسئولين في الإعلامِ تقوى اللهِ في كل ما يتمُّ بثُّه عبر القنواتِ الفضائيةِ التي يشاهِدُها الصغيرُ والكبيرُ والمتعلّمُ والجاهلُ واستبدالُ المسلسلاتِ الهدّامة التي تنشرُ الفسادَ في الأرضِ بالبرامجِ الدينيةِ وعرضِ الأفلامِ الوثائقيةِ الهادفةِ في أسرارِ الكونِ بما فيها تكوينُ الجبالِ التي تُثري ثقافةَ المشاهدِ وتقوّي إيمانَه بالله.

2- يمكنُ تخصيصَ قناةٍ فضائيةٍ يتمُّ فيها استضافةُ علماءِ الجيولوجيا لتوضيحِ المفهومِ العلمي لجميعِ الآياتِ الكونيةِ في القرآنِ الكريمِ بما فيها الشمسُ والقمرُ والنجومُ والأرضُ والجبالُ والبحارُ والأشجارُ والأنهارُ وغيرها.

3- استضافةُ الدعاةِ إلى اللهِ في القنواتِ الفضائيةِ لتوعيةِ المشاهدين بما فيه صلاح دينِهم ودنياهم على أن يستمر عرض تلك البرامج طوال العام، ولا يقتصرُ ذلك على شهرِ رمضانَ المباركِ فقط.

4- تدعيم القنواتِ الفضائيةِ للأطفالِ ببرامجَ تربويةٍ هادفةٍ يتمُّ تصميمُها باحترافيةٍ تتضمّنُ ربطِ الصوتِ بالصورةِ لجذبِ انتباهِ الطفلِ وتكرارِ العرضِ أكثر من مرةٍ؛ للمساهمةِ في غرسِ الجوانبِ التعبّديةِ والآدابِ التربويةِ في نفوسِ الناشئةِ مُنذ الصغرِ، ومن البرامجِ المقترحةِ: "قصص الجبال في القرآن الكريم" أو "أذكار الطفل المسلم".

5- في الوقتِ الراهنِ انتشرتْ الأجهزةُ الإلكترونيةُ وتعددت أنواعُها وهي سلاحٌ ذو حدين فلا بأس أن يكون للمسلمِ دورُه الفعّال في نصحِ وتذكيرِ إخوانِهِ بتداولِ الرسائلِ الدعويةِ عن ذكرِ اللهِ وفضائلِهِ أو المقاطعِ الصوتيةِ أو المرئيةِ لمحاضراتٍ قصيرةٍ أو فيديوهات جذابةً تُشعِرُ الناظرَ بعظمةِ ذي العزةِ والجلال.

وإذا ما تكاتفتْ جهودُ المؤسساتِ التربويةِ وقام كلٌّ بدوره المنوطِ به نكونُ بهذا قد ساهمنا في إعدادِ جيلٍ خَيّرٍ وصالحٍ يحملُ رايةَ الإسلامِ ويستنيرُ بهدى اللهِ ليسعَدَ في الدارين، وبعد فإنَّ من أدبِ المؤمنِ مع اللهِ حين يهتدي إلى شيءٍ من معاني إحسانِهِ وكرمِهِ في بديعِ خلقِهِ، ويستشعرُ عظمتِهِ أن ينطلقَ من الإقرارِ إلى الدعاءِ بأن يوفّقَهُ اللهُ لصالحِ الأعمال.

هذا مما علمني ربّي فإن كان صوابًا فمنَ اللهِ وحده وإن كان خطأً فمن نفسي والشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

ابن تيمية، محمد. (2005). مجموع فتاوى ابن تيمية. ط 3، دار الوفاء، مصر.
ابن العربي، محمد. (2003). أحكام القرآن. ج 4، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن القيم، محمد. (1973). الفوائد. ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن القيم،محمد.(2007).الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.ط1، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة.
ابن كثير، إسماعيل. (2003). تفسير القرآن العظيم. ج 8، ط 3، دار طيبة، المدينة المنورة.
ابن منظور، محمد بن مكرم. (2003). لسان العرب. ج 5، (د.ط)، دار صادر، بيروت.
البخاري، محمد بن إسماعيل. (2002). صحيح البخاري. ط 1، دار ابن كثير، دمشق– بيروت.
البغوي، الحسين. (1988). معالم التنزيل. ج 5، (د.ط)، دار طيبة، المدينة المنورة.
الترمذي، محمد بن عيسى. (1989). صحيح سنن الترمذي. (تحقيق: محمد الألباني). ط 3، مكتبة المعارف، الرياض.
التوني، فريد. (1990). رسالة ماجستير بعنوان "عبودية الكائنات لله رب العالمين". جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
الجرجاني، علي بن عبد العزيز. (1996). معجم التعريفات. (تحقيق: محمد المنشاوي)، ط 1، دار الكتب العلمية. بيروت.
الزحيلي، وهبة. (2001). التفسير الوسيط. ج 3، ط 1، دار الفكر. بيروت.
الزيات وآخرون. (2004). المعجم الوسيط. ط 4، مكتبة الشروق الدولية، (د.م).
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2003). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (تحقيق: عبد الله اللويحق)، ط 1، دار ابن حزم، لبنان.
السعدي، داود. (2007). أسرار الكون في القرآن الكريم. ط 3، دار الحرف العربي، بيروت.
الشناوي، عبد العزيز. (2006). البرهان على إعجاز القرآن، مكتبة الإيمان، المنصورة.
الغالبي، خلاّف. (2006). مقال بعنوان: خشوع وتصدع الجبال معاني علمية وإيحاءات قرآنية. (د.ط). مجلة علوم الأرض والبحار، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الكويت.
الفيومي، أحمد. (2010). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. ط 2. دار المعارف. القاهرة.
الكحيل، عبد الدائم. (2010). مقال بعنوان: أهمية الجبال في نزول الأمطار. (د.ط)، موقع عبد الدائم الكحيل، (د.م).
النقيب عبد الرحمن، الهنيدي جمال. (2004). قراءات في التربية الإسلامية. (د.ط)، مؤسسة أم القرى، المنصورة.
النجار، زغلول. (2006). المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم. ط 9، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
المدهون،محمد خليل.(2014).رسالة ماجستير بعنوان القيم التربوية المتضمنة في الآيات الكونية ودور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيزها لدى طلبتهم . الجامعة الإسلامية ،غزة.
المراغي، أحمد مصطفى. (1946). تفسير المراغي. (د.ط)، دار مصطفى البابي الحلبي، مصر.
مليجي، أحمد. (2010). مقال بعنوان: متاع الجبال إعجاز علمي. (د.ط). موسوعة الإعجاز العلمي، (د.م).
المنذري، عبد العظيم. (2003). الترغيب والترهيب. (تحقيق: محمد الألباني). ط 1. مكتبة المعارف، (د.م).
النابلسي، محمد. (2000). مقال بعنوان: علاقة الماء بألوان الصخور. (د.ط). موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، (د.م).
النيسابوري، مسلم بن حجاج. (2006). صحيح مسلم. (تحقيق: نظر الفاريابي)، ط1، دار طيبة، المدينة المنورة.
الوعلان، عبد المجيد (2011).رسالة ماجستير بعنوان" الآيات الكونية ،دراسة عقدية" .جامعة الإمام محمد بن سعود،الرياض.